الفصل الرّابع

التّربيـــــــــة الأخلاقيّـــة

المبـحـث الأول : تعريف الخُلق و أقسامه .

المبحث الثانـــي : سبيل تحقيق النمو الأخلاقي .

المبـحـث الثـالـث : خلق تأديب الأطفال .

المبحـث الرابـع : تربية السلف للأولاد .

المبحث الخامس : بداية تربية الأطفال .

المبحث السادس : الآداب النبويّة الشريفة للأطفال .

obeikandi.com

المبحث الأوّل :

تعريـــف الخُلُق ، وأقســـامه ، و ضروراته

تمهيد : الخُلُق : السجيّة بضم اللام ، وقيل : الخلق صفة نفسيّة لاشيء خارجي ، أمّا المظهر الخارجي للخلق فيسمى سلوكاً ، أو معاملة . والسّلوك دليل الخلق ومظهره [١].

ويُعّرِف ابن مسكويهِ الخلق : حال للنفس داعية إلى أفعالها ، من غير فكر ولا رويّة ، وهذه الحال تنقسم إلى قسمين :

منها ما يكون طبيعياً من أصل المزاج ، كالإنسان الّذي يحركه أدنى شيء نحو غضب ويهيجُ من أقل سبب ، وكالإنسان الذي يُجبن من أيسر شيء كالذي يفزع من أدنى صوت يطرقُ سمعهُ .

و **منها** ما يكون مستفاداً بالعادة والتّرتيب ، وربّما كان مبدٍ مدّة بالفكر ، ثم يستمرُ عليها أولاً فأوّلاً ، حتى يصبرَ مَلَكَةً وخلقاً [٢].

لهذا يمكن القول إنّ الأخلاق الإسلامية ما هي إلا جملةُ التعاليم الاجتماعية ، وإقامتها على أساس التّضحية ، من أجل بثّ متانةٍ فريدةٍ زيادةً عما يحقّقه الدّين منها ، من أجل ذلك تكاملت الأخلاق الإسلامية على الشريعة في بناء الإنسان الفذّ [٣].

وعندما عرّفنا التّربية بأنّها نماء وزيادة فهذا يعني أن التّربية الأخلاقية هي عملية منمّية للجوانب الخيّرة والفاضلة داخل الكيان الإنساني لأنّ ((الحياة الروحية الحقيقية هي التي تضفي

---

(١) أحمد أمين ، كتاب الأخلاق ، ص ٦٣ .

(٢) ابن مسكويه ، تهذيب الأخلاق ، وتطهير الأعراف ، ص ٥١ .

(٣) محسن محمد عطوي ، زاد المبلغين ، ص ٤٢٤ .

على حياة الإنسان القيمة والبهجة والأمل السعيد في الدنيا والآخرة ، وتجعل الإنسان في عالم أوسع من نطاق هذه الحياة المادية)) [١].

ثمّ إنّ الحياة الروحية الأخلاقية ((طاقة دافعة إلى القيام بالمسؤوليّات والواجبات والفضائل فوق الواجبات)) [٢].

وعندما نقول بضرورة تحقيق الحياة الرّوحية والأخلاقيّة فإنّ هذا بعيد كلّ البعد عن بعض مفاهيم التربية الانعزاليّة التي تدفع بالإنسان نحو العزلة عن مجتمعه بحجّة التفرغ للعبادة.

---

(١) مقداد يالجن ، أهداف التربية الإسلامية وغاياتها ، ج٢ / ص ٧٦ .

(٢) مقداد يالجن ، أهداف التربية الإسلامية وغاياتها ، ج٢ / ص ٧٦ .

obeikandl.com

المبحث الثّاني :

سبيل تحقيق النمو الأخلاقي

ويمكن أن نحقق النمو الروحي والأخلاقي بما يلي :

١ ـ تنمية شعور الناشئة بحاجتها إلى الله دائماً .

٢ ـ تعميق الوعي بالحاجة الماسة إلى الصّلة الرّوحية العميقة عبر الصّلة بالخالق .

٣ ـ تطهير النفس من النوايا و الغايات الهابطة .

٤ ـ تحلية النّفس بمكارم الأخلاق .

٥ ـ تنشئة النّفس على العبادة الخالصة لله ..

٦ ـ التّدرّب على ذكر الله عند كلّ نعمة ، والصبر عند كلّ مصيبة طمعاً بالأجر الأعظم عند الله .

من هذا يبدو أنّ التّربية الأخلاقية والرّوحية تنأى بصاحب الخلق عن كل شر ، وتقرّبه نحو كل خير . ولو أردنا أن نضع وظيفة لعلم الأخلاق أو أردنا أن نحدد غايته لقلنا : ((إنّه علم الخير والشر)) [1] كيف لا والمربّون يعملون على :

١ ـ تكوين الحبّ للفضائل وحسن الأخلاق ، وتكوين الكره للرذائل والآثام والشرور .

٢ ـ تربية الصغار على الآداب الأخلاقية والإسلامية وتطهير نفوسهم من الرذائل وتحليتها بالمكارم الأخلاقية .

٣ ـ تبصير الناشئة بالقيم الأخلاقية وتأسيس قناعاتهم بالقيم الأخلاقية على أسس إيمانية عقلية تجعلهم يتحسّسون ثمار هذه القناعات واقعياً في الحياة العملية .

---

(١) عبد الرحمن بدوي ، فلسفة الدّين والتّربية عند كنت ، ص ١٢٦ .

obeikandl.com

٤ ـ تـزويدهم بجهـاز المناعة الذي يمنع المفاسد والرذائل من التسلل إلى ذواتهم الدّاخليّة عـن طـريق الـتّهذيب المـستمر لأنّ الـتّهذيب ((هـو السّعي إلى منع الحيوانية من أن تكون خسارة للإنسانية ، فالتّهذيب يعمل على كبح التوحش)) [١].

ومـا الـتوحش إلا الاندفاع الأعمى إشباعاً للغرائز على نحو فوضويّ غير منضبط بأدب ولا خـلق ولا قـانون . وعـلى ذلك فلا بدّ من الولوج للقواعد التي أرسى الإسلام عليها بناءه الأخلاقي وتربيته الأخلاقية المتميّزة .

(١) عبد الرحمن بدوي ، فلسفة الدّين والتّربية ، كنت ، ص ١٢٦ .

المبحث الثّالث :

خلق تأديب الأطفال

الأطفال مخلوقون مزوّدون بقوى فطرية تصلح أن تُوجَّه للخير كما تصلح أن توجّه للشر . غير أنّ توجيهها نحو الخير يسهم في العطاء الراقي الذي ترجع فائدته إلى الأمة كلها ، وتوجيه هذه القوى نحو الشر يؤدّي لفساد الفرد والمجتمع .

فإذا روّضنا هذا الطّفل على الخلق الفاضل تقوّمت نفْسُه ، وأخلصت القياد للعقل حتى تصبح هذه العادات المكتسبة بالتّربية الأخلاقية سجيّةً ثابتة مستقرة في أعماقه لو خالفه لـبّبت له القلق والانزعاج .

التوجيهات النبوية الشريفة

في التّربية الأخلاقية للأطفال طلب المربي الأول سيّدنا محمد رسول الله ﷺ من الآباء مراقبة أولادهم مراقبةً عاقلةً كي يقوّموا المعوجّ من سلوكهم ، ويصحّحوا الخطأ من مفاهيمهم وتصوراتهم لذا قال رسول الله ﷺ : « الزموا أولادكم وأحسنوا أدبهم » [١].

بل أضفى رسول الله قدسيّةً عظيمةً لعمل الأب التّربوي تّجاه ولده بما رتّب من الأجر العظيم للأب المربّي ، إذ تجاوز أجر المربّي الهبات والصّدقات التي يدفعها للفقراء ، فعن جابر بن سمرة أن رسول الله ﷺ قال: « لأَن يؤدِّب الرجل ولَده خير من أن يتصدّق بصاع » [٢].

---

(١) أخرجه الترمذي ، باب ما جاء في أدب الولد .

(٢) أخرجه الترمذي ، باب ما جاء في أدب الولد .

المبحث الرّابع :

تربية السلف الصالح لأولادهم الصغار

لقد كان اهتمام السلف الصالح جليّاً بتربية أولادهم قولاً وعملاً وممارسةً ومتابعةً ، مهتدين في ذلك بسيرة خير الناس جميعاً سيّدنا محمد رسول الله ﷺ . فعن الإمام علي كرّمَ الله وجهه في وصيته لمحمد الحنفية ((و أحسنْ إلى الناس كما تحب أن يحسن إليك ، وارض لهم ما ترضاه لنفسك ، واستقبح لهم ما يستقبحه غيرك ، وحسّن مع الناس خلقك حتّى إذا غبت عنهم حنّوا إليك ، وإذا مِتّ بكَوا عليك)) [١].

أمّا ابن عمر عبد الله ﷺ فكان يوجه نداءه للوالدين قائلاً : ((أدّبْ ابنَك فإنّك مسؤول عنه، ماذا أدّبته وماذا علّمتَه ؟ وهو مسؤول عن برِّك و طواعيته لك)) [٢].

---

(١) الحر العاملي ، مسائل الشّيعة ، ج٢ / ص ٢٢٧ .

(٢) ابن القيم ، تحفة المودود بأحكام المولود ، ص : ١٤٤ .

المبحث الخامس :

بداية تربية الأطفال

متى تبدأ تربية الصغار .؟

يقول الموجّهون المسلمون : ((إنّ التّربية الخلقية تبدأ منذ الفطام حتى يكتسب الطفل الأخلاق والعادات الحسنة فيقول : ((فإذا فطمتم الصبيّ عن الرضاع بُدِئ بتأديبه ورياضته وأخلاقه قبل أن تهجم عليه الأخلاق اللّئيمة وتفاجئه الشّيم الذّميمة)) [١].

ويوضّح ابن مسكويه الأمر عينُه قائلاً :((إنّ نفس الصبي ساذجة لم تنتقش بعد ، وليس لها رأي ولا عزيمة تمليها من شيء إلى شيء ، فإذا انتقشت بصورة وقبلتها نشأ عليها و اعتادها)) [٢].

ويركّز ابن سينا على ضرورة توفير المحيط من الزملاء والصّحبة للطّفل من أولاد جيله فيقول : ((وينبغي أن يكون مع الصبيّ في مكتبه صبيةٌ من أولاد الجلة ، حسنةٌ آدابهم ، مرضيةٌ عاداتهم ، فإنّ الصبيّ ألقنُ ، وهو عنه آخذ ، وبه آنسُ)) [٣].

لذا فمن حقوق الأطفال على أبائهم أن يجنِّبوهم قرناء السوء لأنّهم (أي الأباء) مسؤولون عن رعاية أطفالهم في هذه السن . و يقول الغزالي في هذا الشأن : ((وعلى الوالي أن يصون الصبيّ عن الآثام بأن يؤدِّبه ويهذّبَه ، ويعلّمه محاسن الأخلاق ، ويحفَظْه من القرناء السوء)) [٤].

---

(١) لويس شيخو وآخرون ، مقالات فلسفية لمشاهير فلاسفة العرب والمسلمين والنصارى ص : ١٢ .

(٢) ابن مسكويه ، تهذيب الأخلاق ، ص : ٤٨ .

(٣) لويس شيخو ، مقالات فلسفية لمشاهير فلاسفة العرب من مسلمين ونصارى ، ص : ١٣ .

(٤) الغزالي ، إحياء علوم الدين، ص ٣ ، ص ١١٠ .

ويـربط المـربُّون المسـلمون مسائل التّربية وطرقها ووقائعها بالغايات المطلوبة إذ الغرض من تأديب الصغير وتربيته عند الغزالي أن ((يقوى بها على طاعة الله عزّ وجل ، وأنّ الكيّس العاقل مَـنْ تزوّد من الدنيا للآخرة حتّى تعظمَ درجتُه عند الله تعالى ، ويتّسع نعيمُه في الجنان . فإن كان النشوء صالحاً كان هذا الكلام عند البلوغ واقعاً مؤثّراً ناجعاً ، يثبت في قلبه كما يثبت النقش على الحجـر ، وإن وقـع النشـوء بخـلاف ذلـك ألـف الصـبيُّ الـلعب والفحـشَ والوقاحـة وشره الطعام واللباس ، والتزيُّنَ والتّفاخر عن قبول الحقّ نبو الحائط عن التّراب اليابس .

فـأوائل الأمـور هـي الّـتي ينبغي أن تُراعى ، فإنّ الصبيَّ بجوهره خُلق قابل للخير وللشر جميعاً ، وإنما أبواه يميلان به إلى أحد الجانبين)) [١].

فالـتّربية الصـحيحة للصـغير بمثابة الحصن الذي يردّ عنه كل الهجمات الشريرة من هنا وهـناك . يقـول محمـد الخضـر حسين : ((إنّ الصّبي يولد على الفطرة الخالصة والطبع البسـيط فـإذا قوبـلت نفســه الساذجة بُخلق من الأخلاق نقشت صورتَهُ في لوحها ، ثمّ لم تزل تلك الصورة تمتد شيئاً فشيئاً إلى أن تأخذ بجميع أطراف النقش)) وتصير كيفيةً راسخةً فيها ، حائلةً لها عن الانفعال بضدِّها . يؤيّد هذا أنّا إذا رأينا في الغرباء مَن هو لطيف الخطاب ، جميل اللقاء ، مهذّب الأَنعيّة ، لا ترتاب في دعوى أنّه ممن أنبته الله في البيوت الفاضلة نباتاً حسناً)) [٢].

---

(١) الغزالي ، إحياء علوم الدين، ج٣ / ص :١١٣ .

(٢) محمد الخضر حسين ، السعادة العظمى ، ص : ٦٠ .

المبحث السّادس :

الآداب النبوية الشريفة للأطفال

ذكرنا سابقاً أن النّبيّ ﷺ اهتمّ بتربية الأطفال تربية شاملة أحاطت بكل تفرّعات الحياة و جزئياتها ، و لذا رأينا قبل قليل كيف رفع قيمة المربّي ولده ، المهذّب له ، درجةً تجاوزت درجة المتصدِّق الّذي يطفئ النّار صدقتُهُ . و كذلك جعل الرسول ﷺ خيرَ ميراث يورثه الوالد ولده الأدبَ وحسنَ الخلق ولذا قال فيما رواه عنه سعيد بن العاص ﷺ: ((ما نَحَل والد ولداً من نحل أفضل من أدبٍ حسن)) [١].

لذلك كان علي المديني يقول : ((توريث الأولاد الأدب خير لهم من توريث المال ، الأدب يكسبهم المال والجاه والمحبة للإخوان ، ويجمع لهم خير الدنيا والآخرة)) [٢].

وأمّا أهم الآداب النبوية للأطفال فهي :

١ ـ برُّ الوالدين : فقد أورد الإمام النووي رحمه الله في الأذكار باب نهي الولد والمتعلم التلميذ أن ينادي أباه ومعلمه وشيخه باسمه فعن أبي هريرة ﷺ أنّ النبيَّ ﷺ رأى رجلاً معه غلام ، فقال للغلام : ((مَن هذا)) ؟ قال : أبي ، قال : ((فلا تمشِ أمامهُ ، ولا تستبُ له)) أي : لا تفعل فعلاً يتعرض فيه لأن يَسُبَّك أبوك زاجراً لك تأديباً على فعلك القبيح ـ وهذا شرح النووي ـ ((و لا تجلس قَبلَهُ ، ولا تدعُه باسمه)) [٣].

وأخرج ابنُ حجر الهيثمي قصةً فيها الفائدة الطيبة موقوفة عن أبي هريرة ﷺ

---

(١) أخرجه الترمذي ، في البر والصلة ، وقال : هذا حديث غريب . رقم ١٩٥٢ .

(٢) تنبيه المغترين ، للشعراني ، ص ٤١ .

(٣) أخرجه ابن السنّي .

عـن أبي غسان الضبي ، قال : خرجت أمشي مع أبي بظهر الحرّة فلقيني أبو هريرة ﷺ فقال : مَـن هذا ؟ قلت : أبي : قال :لا تمشِ بين يدي أبيك ، ولكن امشِ خلفَهُ أو إلى جانبه ، ولا تدَعْ أحداً يحول بينك وبينه ، ولا تمشِ فوق إجّار ـ أي سطح ـ أبيك تُخِفْهُ ، ولا تأكل عِرْقاً ـ بسكون الراء العظم إذا أُخِذَ منه معظم اللحم ـ قد نظر أبوك إليه لعَلَّهُ قد اشتهاه)) [١].

٢ ـ خطاب الوالدين :

فقـد أورد القرطبي في تفسيره أنه قال أبو البداح التجيبي : قلت لسعيد بن المسيب : كل ما في القرآن من برّ الوالدين قد عرفْتُهُ إلاّ قوله : ﴿ **وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا** ﴾ .[٢]ما القول الكريم ؟ قـال ابن المسيّب : ((قول العبد المذنب للسيّد الفظّ الغليظ)) [٣]. وقد فسّر عُمر بنُ الخطاب القول الكريم فقال : ((هو أن يقول لـــه : يا أبتاه ، يا أماه)) [٤]. وقال تعالى : ﴿ **وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا** ﴾ [٥].

٣ ـ أدب النظّر إلى الوالدين :

روي عـن ابـن عـبّاس ﷺ قـال : قـال رسـول الله ﷺ : ((إذا نظر الولد إلى والده فسَرَّه كَـان لـلولد عـنق نسـمَة)). قيـل : يـا رسول الله وإن نظر ثلاث مئة وستين نظرة ؟ قال : ((الله أكبر)) [٦].

---

(١) مجمع الزوائد ، ٨ / ١٣٦ .

(٢) سورة : الإسراء ، الآية : ٢٣ .

(٣) تفسير القرطبي ، ١٠ / ٣٤٣ . و تفسير الرازي ٢٠ / ١٩٠ .

(٤) تفسير الرازي ٢٠ / ١٩٠ .

(٥) سورة : النساء ، الآية : ٣٦ .

(٦) أخرجه الطبراني . و قال الهيثمي في مجمع الزوائد : إسناده حسن . ٨ / ١٥٦ .

٤ ـ أدب الأطفال مع العلماء :

ذكرنا استنتاج النووي للحديث الذي رواه ابن السنّي حيث عنون له في كتاب الأذكار : ((باب نهي الولد والمتعلم والتلميذ أن ينادي أباه ومعلمه وشيخه باسمه)) فقال : وإنّ مما ذكرنا من الأدب مع الوالدين يماثله الأدب مع العلماء بل ويزيد لأنّ العلماء ورثة الأنبياء فاحترامهم وتوقيرهم ، وخفض الجناح لهم ، والمسارعة في خدمتهم ، وعدم رفع الصوت في مجالسهم واللطف في معاشرتهم ، ولين الجانب لهم ، كلُّ ذلك يحتاج لأن يتعوَّدهُ الطفل .

بعض ما ورد في الأدب مع العلماء

روي عن أبي أمامة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ :((إنّ لقمان قال لابنه : يا بني ! عليك بمجالسة العلماء ، واسمع كلام الحكماء ، فإن الله يحيي القلبَ الميّت بنور الحكمة كما يحيي الأرض الميتةَ بوابلِ المطر)) [١].

و روى أيضاً قوله ﷺ : ((ثلاثة لا يَستخِفُّ بهم إلا منافق : ذو الشيبة في الإسلام ، وذو العلم ، وإمام مُقْسِط)) [٢].

وروى لنا عُبادة بن الصامت أن رسول الله ﷺ قال: ((ليس من أمّتي مَن لم يّجِلّ كبيرنا ويرحَم صغيرنا ، ويعرِف لعالمنا حقَهُ)) [٣].

صور من أدب أطفال سلف الأمّة الصّالح مع علمائها

كان سعيد بن المسيّب ﷺ يركع ركعتين ثم يجلس ، فيجتمع إليه أبناء أصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار ، فلا يجترئ أحد منهم أن يسألَهُ شيئاً إلا أن يبتدئهم بحديث أو يجيئه سائل فيستمعون .

---

(١) أخرجه الطّبراني .

(٢) أخرجه الطبراني . و انظر أدب الإملاء والاستملاء ، ص ٣٦ .

(٣) أخرجه أحمد في المسند . و الطبراني .

obeikandl.com

و تقدّم حديث ابن عمر وسكوته في مجلس رسول الله ﷺ عندما وجه الرسول ﷺ سؤالاً فلم يُجِبْ لحضور أبي بكر وعمر ﷺ .

أما حَبْرُ الأمة ابن عباس ﷺ فكان مثالاً للأدب الجمّ عندما طلب العلمَ من الصحابة . فقد روى عكرمة عن ابن عباس أنه قال : لما قُبضَ رسولُ الله ﷺ قلتُ لرجل من الأنصار هلُمَّ فلنسأل أصحاب رسول الله ﷺ فإنّهم اليوم كثير ، فقال : يا عجباً لك يا بن عباس ! أترى الناس يفتقرون إليك ، وفي الناس من أصحاب رسول الله ﷺ ؟ قال : فترك ذاك وأقبلتُ أنا أسأل أصحاب رسول الله ﷺ فإن كان ليبلغني الحديث عن الرجل ، فآتي بابه وهو قائل[1] فأتوسّدُ ردائي على بابه ،يسفي الريحُ عليَّ من التراب فيخرج فيراني فيقول : يا بن عمّ رسول الله ﷺ ما جاء بك ؟ هلاّ أرسلْتَ إلي فآتيك . فأقول : لا أنا أحقُّ أن آتيك . قال فاسألْهُ عن الحديث . قال : فعاشَ هذا الرجل الأنصاري ، حتّى رآني وقد اجتمع حولي النّاس يسألونني فيقول : هذا الفتى كان أعقلَ مني [2].

لننظر إلى الحسن البصري كيف وجّه ابنه إلى مجالسة العلماء فقال له : ((يا بني ! إذا جالست العلماء ، فكن على أن تسمع أحرصَ منك على أن تقول ، وتعلّم حسن الاستماع كما تتعلّم حسن الكلام ، ولا تقطع على أحد حديثاً وإن طال حتى يُمْسِكَ)) .

ولنرَ أدب الطفل الصحابي سمرة بن جذب ﷺ كخاتمة لهذه النفحات الأخلاقية المباركة فقد ورد عن سمرة أنّه قال: ((لقد كنتُ على عهد رسول الله ﷺ غلاماً ، فكنْتُ أحفظُ عنه فما يمنعني من القول إلاّ أنّ هاهنا رجالاً هم أسنُّ مني)) [3].

---

(١) قائل : أي نام نومة القيلولة .

(٢) رواه ابن كثير عن البيهقي بسنده . و انظر عبد الفتاح أبو غدة ، صفحات من حبر العلماء ، ص ٣٧ .

(٣) أخرجه البخاري .

٥ـ أدب الاحترام والتوقير :

روى أنس بن مالك ﷺ قال : جاء شيخ يريد النبي ﷺ فأبطأ القوم أن يوسعوا له ، فقال النبي ﷺ: « ليس منّا مَن لم يرحَم صغيرنا ويوقِّر كبيرنا » [١] .

و كذا قال أبو موسى ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ :« إنَّ من إجلال الله تعالى إكرام ذي الشيبة المسلم ،وحامل القرآن غير المغالي فيه والجافي عنه ،وإكرام ذي السّلطان المقسط » [٢].

وبالخلاصة نرى أن من أدب الاحترام والتوقير للكبار وللعلماء ، وتقديم الكبير للكلام إلاّ إذا طُلِبَ من الصغير الكلام ، أو كان المقامُ مقامُ سؤال .

٦ ـ أدب الأخوة واحترامها :

تقدّم أدب احترام الصغير للكبير وتوقيره ، ورحمة الكبير بالصغير ، وتعظيماً لهذا الحب والتوقير ، وتكريساً لحب الأخوة واحترامها فقد نهى الرسول ﷺ عن إشهار السلاح لتخويف الأخ أو ترويعه فعن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ: « مَن أشار إلى أخيه بحديدة فإنّ الملائكة تلعنَهُ حتى يدعَهُ ، وإن كان أخاه لأبيه وأمه » [٣].

ولعلّ للأخ الكبير مكانة خاصّة في الأسرة للمسؤوليات الكبيرة الملقاة على عاتقه .

فقد وردت رواية فيها ضعف تشير إلى مكانة الكبير من الأخوة فقد ورد عن كليب الجهني ﷺ وكانت له صحبة قال: قال رسول الله ﷺ : «والأكبر من الأخوة بمنزلة الأب» [٤] .

وقال الهيثمي : رواه الطّبراني ، وفيه الواقدي وهو ضعيف لكنّه موافق لعموم النصوص الداعية لاحترام الكبار ، والأخ له منزلة خاصّة .

---

(١) أخرجه الطبراني وأحمد عن ابن عباس وانظر صحيح الجامع رقم ٥٤٤٥ ، صحيح

(٢) أخرجه أبو داود .

(٣) أخرجه مسلم .

(٤) ابن حجر الهيثمي ، المجمع ٨ / ١٤٩ حيث قال : رواه الطبراني ، و فيه الواقدي ، و هو ضعيف .

فإذا ما غرس الوالدان في نفس الكبير العواطف والحب لإخوته الصغار ، وغرسا في نفوس الصغير الاحترام والتقدير للأخ الكبير ، عندئذٍ تسير الأسرة سيراً متوازناً إذ كلٌّ يعرف واجبه نحو الآخر ، قبل أن يعرفَ حقه عليه [١]. وبذلك يضمن الإسلام حياة مستمرة مباركة للأسرة إذا ما اعتصمت بحبل الله وهدي رسوله .

٧ ـ أدب احترام الجار :

المجتمع المسلم كيان واحد مترابط ، هكذا يريد الله سبحانه للمجتمع أن يكون . و لذا فقد قال رسول الله ﷺ : « مثل المؤمنين في توادّهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحّمى » [٢].

والجار في الإسلام مكرَّم أيّما إكرام ، محتَرم أيّما احترام ، فقد أوصى الرسول ﷺ به و ندب الأطفال الصغار لاحترامه ، كما طالب الإسلامُ الآباء أن يورثوا حبَّ الجار لأطفالهم ، وأن يتجنبوا أذاهم على نحو مقصود وغير مقصود بأي صورة من الصور .

منها عدم خروج الطفل وبيده شيء من الطعام أو الفاكهة يأكلها أمام أطفال الجيران ليغيظ بها أبنا الجيران الذين لا يملك والدهم أن يشتري لهم لبخل أو لضائقة مالية . وبذلك يكتسب الولد أدباً آخر وهو عدم الأكل في الطريق ليكون ذلك أقرب إلى التمسّك بالآداب العامّة .

لما روى عمرو بن شعيب عن رسول الله ﷺ أنّه قال : « إن اشتريتَ فاكهةً فأهدِ له . فإن لم تفعل فأدخلها سراً ، و لا يخرج ولدك ليغيظ بها ولده » [٣]. فعدَم إ غاظة الطّفل لجيرانه

---

(١) محمد نور عبد الحفيظ ، منهج التربية النبوية ، ص ٢٩٦ ـ ٢٩٧ .

(٢) أخرجه مسلم و أحمد .

(٣) أخرجه الطّبراني .

مطلب نبوي لكلّ طفل مسلم يحبّ رسول الله ﷺ ، ولكلّ أب وأم أن يغرسا هذه القيم العالية في قلوب أطفالهما .

٨ ـ أدب الاستئذان :

أدب اجتماعي رفيع ، و هو واجب الكبير والصغير ، وله مكانة خاصّة في التشريع الإسلامي حتّى خصّه الله تعالى بآيات مباركات كريمات إذ قال : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنْكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلاَةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلاَةِ الْعِشَاءِ ثَلاَثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلاَ عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ** ﴾ [١].

وآداب الاستئذان قد عرفها صغار الصحابة مثل أبي سعيد الخدري فضلاً عن كبارهم رضي الله عنهم [٢]. فقد استأذن أبو موسى الأشعري على عمر بن الخطاب ﷺ فلم يؤذن له وكأنه (أي عمر) كان مشغولاً فرجع أبو موسى ، ففرغ عمر فقال : ألم أسمع صوت عبد الله بن قيس ؟ ائذنوا له ، قيل : قد رجع ، فدعاه فقال : كنا نؤمر بذلك ، فقال : تأتيني على ذلك بالبيّنة ، فانطلق إلى مجلس الأنصار فسألهم فقالوا : لا يشهد لك على هذا إلا أصغرنا أبو سعيد الخدري ﷺ فذهب بأبي سعيد ، فقال عمر : ((أخفي عليّ من أمر رسول الله ﷺ ألهاني في الصفق بالأسواق ـ يعني الخروج إلى التجارة ـ)) [٣] فنسي عمرُ على جلال قدره أنه عندما لا يؤذن للشخص بالدخول فعليه الرجوع من حيث أتى دون غضب أو سخط أو نقد ، فكان الشاهد لأبي موسى ، المذكّر لعمر ، الطفل الصحابي أبا سعيد الخدري رضي الله عنهم جميعاً .

---

(١) سورة : النور ، الآية : ٥٨ .

(٢) محمد نور بن عبد الحفيظ ، منهج التربية النبوية ، ص ١٩٧ .

(٣) أخرجه البخاري في الأدب المفرد عن عبيد بن عمير .

وقد سقتُ الآيات الكريمة من قبل من سورة النور التي تدّرب الطّفل على الاستئذان ، وترشد الوالدين آمرة بتعليم أطفالهم هذا الأدب الاجتماعي الرفيع .

ذلك أن الاستئذان يبدأ على مراحل :

قبل الاحتلام يستأذن في ثلاث أوقات قبل صلاة الفجر ، ووقت القيلولة ، وبعد صلاة العشاء ليلاً ، وهي الأوقات الغالبة التي يخلع الأبوان ثيابهما أو قسماً منها .

بيد أن الطّفل إذا بلغ مرحلة الحلم والبلوغ كان التوجيه القرآني بوجوب استئذانه دائماً ﴿ وَإِذَا بَلَغَ الأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [١].

خُلُق رسول الله القدوة بكيفية الاستئذان

ورد عن عبد الله بن يسر ((أن النبي ﷺ إذا أتى باباً يريد أن يستأذن لم يستقبلْهُ . جاء يميناً وشمالاً ، فإن أُذِن له و إلا انصرف)) [٢] إذاً مَن يريد الاستئذان لا يواجه الباب بكليته إنما يقف على يمينه أو شماله ، فإذا أُذن له دخل ، وإلا انصرف دون انزعاج أو احتجاج .

الرسول الأسوة المباركة ﷺ يستأذن الأطفال

علّم الإسلام أتباعه التزام الحقّ صِغاراً وكِباراً . واتّباعُ السنّة من قبل الجميع مهما علت مراكزهم أو تعاظمت درجاتهم فها هو الرسول ﷺ يلزم أدب الاستئذان مع الأطفال الصغار ناهيك عن الكبار فقد روى سهل بن سعد ﷺ أنّ النّبيَّ أُتِيَ بشراب فشرب منه ، وعن يمينه الغلام وعن يساره الأشياخ ، فقال للغلام : أتأذنُ لي أن أُعطِيَ هؤلاء ؟ فقال الغلام : لا والله يا رسول الله إلا أؤثر بنصيبي منك فتلّه ـ أي وضعهُ ـ رسول الله ﷺ في يده [١].

---

(١) سورة : النور ، الآية : ٥٩ .

(٢) أخرجه أحمد و أبو داود .

٩ ـ أدب الطعام :

فقد قال عمر بن أبي مسلمة ﷺ : كنت غلاماً في حِجر رسول الله ﷺ فكانت يدي تطيش في الصَّحْفَة ، فقال لي رسول الله ﷺ : « يا غلام سمِّ اللهَ ، وكُلْ بيمينك وكُلْ مما يليك . فما زالت طعمتي بعد » [٢].

ولم يترك لنا رسول الله ﷺ حالة وإلا وأرشدنا إليه كي لا يكون السلوك عُرْضةً للخطأ أو الإيذاء . فقد بيّن لنا إذا كنّا نأكل ودخل علينا طفل ماذا نفعل . إذ ورد عن إسحاق بن يحيى بن طلحة قال : كنتُ مع عيسى بن طلحة في المسجد ، فدخل السائب بن يزيد ، فبعثني إليه فقال : اذهب إلى ذلك الشيخ فقل لـــه : يقول لك عمي ابن طلحة : هل رأيت رسول الله ﷺ ؟ فذهبت إليه فقلتُ : هل رأيت رسول الله ﷺ ؟ فقال : نعم رأيتُ رسولَ الله ﷺ و دخلت عليه أنا وعمّه معي، فوجدناه يأكل تمراً في قناع ومعه ناس من أصحابه ، فقبض لنا من ذلك قبضة قبضة ، ومسح على رؤوسنا [٣].

ويمكن تلخيص حاجات الطفل إلى آداب الطعام على النحو التالي :

١ ـ ألاّ يأخذ الطعام إلاّ بيمنه ، بعد ذكر اسم الله تعالى .

٢ ـ ويأكل مما يليه .

٣ ـ ولا يبادر إلى الطّعام قبل غيره .

٤ ـ ولا يحدّق إلى الطعام ولا إلى مَن يأكل .

٥ ـ ولا يسرع في الأكل . بل يمضغ الطعام مضغاً جيداً .

٦ ـ ولا يوالي بين اللُّقم .

٧ ـ ولا يلطّخ ثوبه ولا يديه .

---

(١) أخرجه البخاري و مسلم .

(٢) أخرجه البخاري و مسلم .

(٣) أخرجه الطّبراني .

٨ ـ و يقبح له كثرة الأكل ، كأنْ يشبّه المكثر للأكل على نحو مفرط بالبهائم مثلاً .

٩ ـ وأن يمدح الصبي المتأدب ، القليل الأكل ، النظيف .

١٠ ـ ويحبّب إليه الإيثار بالطعام إذا طلبه أطفال آخرون .

١١ ـ وأن يأكل الموجود المتوفّر من الطعام ،وأن لا تلبى كل طلباته ،وأن يحمد الله بعد الطعام [١].

١٠ ـ آداب الشراب :

و بعد أن ذكرنا آداب الطعام اللازمة للأطفال ، فها نحن نذكر آداب الشراب :

١ ـ التسمية قبل الشراب ، والحمد لله بعدَه . لما روي عن ابن عباس ﷺ : ((لا تشربوا واحداً كشرب البعير ، ولكن اشربوا مثنى وثلاثاً . وسمّوا إذا أنت شربتم . واحمدوا إذا أنتم رفعتم ـ أي انتهيتم من الشراب ـ)) [٢].

٢ ـ لا تشرب قائماً ولا مضّجعاً . فإنّه ﷺ نهى عن الشرب قائماً [٣].

٣ ـ لا يتنفس ولا يتجشأ في الكوز الّذي يشرب منه ، بل ينحّيه عن فمه بالحمد ، ويردُّه بالتسمية . وقد قال رسول الله ﷺ :((الحمد لله الذي جعله عذباً فراتاً برحمته ، ولم يجعلْهُ ملحاً أجاجاً بذنوبنا)) [٤].

١١ ـ أدب مظهر الطفل : ويتناول عدّة مظاهر :

مظهر يتعلّق بشعر الطفل وحلاقته ، ومظهر لباسه ولونه وخروجه به في الطريق

---

(١) استفدت من إحياء علوم الدين في هذه الآداب مع بعض التصرف .

(٢) أخرجه الترمذي ، باب ماجاء في النفس في الإناء .

(٣) صحيح مسلم ، باب كراهية الشرب قائماً .

(٤) إحياء علوم الدين، للغزالي ، ج٢ / ص ١٢ .

obeikandl.com

صحيح أنّ الأعمال بالنّيات ، وأنّ النّيّة أمر هام فإذا صحّت ترتّب على ذلك الأجر وإذا فسدت النوايا ذهب الأجر وحلّ الوزر ولو كانت صورة العمل موافقة لأمر الله ورسوله ، إلا أنّ الظاهر له وزنه وأهميته أيضاً ، وأهميتهُ تأتي لوجوب موافقة الأعمال الظاهر من الأحكام الشرعية

وصورة اللّباس والشّعر والحلاقة هي أشكال وحالات منها ما أباحها الشرع ، ومنها ما حبب إليها وندبنا إليها ، ومنها ما كرهها أو حرّمها .

أ ـ أدب تكريم الشعر وحلاقته :

لقد حبّب الرسول ﷺ جزّ الشعر واستئصاله محافظةً على النّظافة والأناقة وحسن المظهر فجاء عنه ﷺ أنّه قال لرجل : « احلق فإنه يزيد في جمالك » [١] .

كما ويستحبُّ تسوية الشعر وترتيبه وذلك إنماءً للشكل الجمالي وإظهاراً له على نحو متناسق متناسب . فعن ابن عمر ﷺ قال : رأى رسولَ الله ﷺ صبيّاً قد حلق بعض شعرِ رأسه و ترك بعضه فنهاهم عن ذلك ، وقال : « احلقوه كلّهُ ، أو اتركوه كلّهُ » [٢] .

وفي الصحيحين عن ابن عمر ﷺ قال : نهى رسول الله ﷺ عن القزع [٣].

وقد أشرف رسول الله ﷺ على حلاقة الأطفال بنفسه .

وعن عبد الله بن جعفر أن النبيّ ﷺ أمهل آل جعفر رضي الله عنهم ثلاثاً ثم أتاهم فقال : « لا تبكوا على أخي بعد اليوم » ثمّ قال : « ادعوا لي بني أخي » فجيء بنا كأننا أفرخ فقال : « ادعوا لي الحلّاق » ثم قال : « ادعوا لي بني أخي » فجيء بنا كأننا أفرخ فقال : « ادعوا لي الحلّاق » ، فأمره فحلق رؤوسنا [٤].

---

(١) الطبرسي ، مكارم الأخلاق ، ص ٥٨ .

(٢) رواه أبو داود بإسناد صحيح على شرط الشيخين .

(٣) أخرجه البخاري و مسلم عن ابن عمر . و القزع : حلق بعض الشعر وترك بعض الشعر .

(٤) رواه أبو داود بإسناد صحيح على شرط الشيخين .

أمـا شـعر البـنت فقـد كـان لها منه ﷺ نصيب من التوجيه الشريف . فعن علي ﷺ أنّه قـال : نهى رسول الله ﷺ أن تحلق المرأة رأسها كما روي عن أسماء رضي الله عنها : أن امرأة سألت النبي ﷺ فقالت : يا رسول الله إن ابنتي أصابتها الحصبة فأحرق شعرها ، وإني زوّجتها أفأصل فيه فقال : « لعن الله الواصلة والموصولة » [١].

كمـا اسـتحبّ الرّسول ﷺ تسريح الشعر وتمشيطه ليكون زينة وجمالاً ، و يضفي الاحترام والوقار على صاحبه ، فلا يتشبه بأهل الموضات وأهل العبث واللهو .

٢ـ أدب لباس الأطفال :

لقـد دعـا الإسـلام إلى لـبس الجميـل من الثياب دون تكبّر ولا مفاخرة ، كما يُـستحبّ أن تكـون الثياب بيضاء نظيفة ، وهذا ما ذُكر عن رسول الله ﷺ حيث قال : « البسوا البياض فإنها أطهـر وأطيـب وكفـنوا فيهـا موتاكم » [٢]. كما قال : «البسوا ثياب القطن فإنها لباس رسول الله ﷺ وهو لباسنا » [٣].

وروى عـبد الله بـن عمـرو بـن العـاص ﷺ عـن الـنبي فقال : رأى النبيُّ ﷺ عليَّ ثوبين معصفرين فقال : « أمك أمرَتكَ بهذا ؟ » قلت: أغلسـهما ، قال : « بل احرقهما » .

وفي روايـة أن « هـذا مـن ثيـاب الكفـار فـلا تلبسـها » .[٤] وهذا الحديث يأمر بعدم جواز التشـبّه بالكفّـار في لباسـهم ، فعلينا أن نُلبس أطفالنا ثياب الاحتشام والستر والراحة ، لا الثياب الضيّقة التي تفصّل ما تحتها ، وأن نزرع فيه روح التواضع والشكر لله إذا ما لبس جديداً أو ثميناً

---

(١) البخاري : صحيح البخاري ، باب الموصولة .

(٢) أخرجه الترمذي .

(٣) الكليني ، الفروع من الكافي ، ج٦ / ص ٤٤٥ ، باب لباس البياض والقطن .

(٤) أخرجه مسلم .

١٢ ـ آداب المشي والجلوس :

المشـي والجـلوس حركة عضلية إراديّة ، غير أن نمو الإنسان واكتسابه المعارف قد يوجد نوايـا ودوافـع غـير محمـودة ، أو يقلّد في بعض الأفعال أناساً لا يجوز تقليدهم ، لذا جاء الوصف القـرآني لعـباد الرحمن كي يتأسى الطّفل بمشـيته بعباد الرحمن وأوليائه : ﴿ **وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلاَمًا**﴾ [١].

إنّهـا السّمة الأولى من سمات عباد الرحمن الذين يمشون على هون ومهولة لا تصنّع فيها ولا ريـاء ، لا يـنالون بمشـيتهم مـن أحد ، ولا يُصغّرون أحداً ، وقد جاء النهي الإلهي عن مشية المتكبرين المتجبّرين فقال : ﴿ **وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ** ﴾ [٢]. إذ المـرح و الاخـتيال والعظمـة صـفة لمشـية أوليـاء الشـيطان ، أمّـا مشـية اليسر والهون والسهولة والتواضـع فهـي مشية عباد الرحمن . ولّما كان السير من الأفعال الّتي يمارسها الإنسان كثيراً عند خـروجه لكسـب رزقـه أو أداء الحقـوق أو الـنزهة أو للعـبادة إلى غـير ذلـك وهـو في مسـيره ظاهر ومكشوف أمام الناس ، فإنّ حسن المشية مدلٌّ على خلق المرء وجمال مسلكه . من أجل ذلك هذّبه الإسلام ، ونظمَهُ ، ووضع له آداباً [٣].

وهذه الآداب نلخّصُها بما يلي :

١ ـ على المربّي أن يتقيّد بصفات مشية عباد الرحمن ليربّى أولاده بالفعل على ذلك .

٢ ـ أن يسير سيراً متوازناً لا سرعة فيها ولا بطء .

٣ ـ أن يغض الطرف وقت المشي ، والنظر إلى الأرض ، وأن يترك الأكل وقت المشي .

٤ ـ ألا يهزّ كتفه كفعل النساء غير المتّزنات والمخنّثين من الرجال .

---

(١) سورة : الفرقان ، الآية : ٦٣ .

(٢) سورة : لقمان ، الآية : ١٨ .

(٣) سهام مهدي جبارة ، الطفل في الشريعة الإسلامية ، ص ٣٤١ .

٥ ـ ويستحب للمرأة أن تمشي على جانبي الطريق لأنّ ذلك أدعى للستر ودرءاً للفتنة .

وهناك جملة من الآداب التي ينبغي على الولد التزامها :

١ ـ أن يتعلّم الولد إقراءَ السَّلام على مَن عرف ومَن لم يعرف لما قال عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ أن رجلاً سأل النّبي ﷺ فقال : أيُّ الإسلام خير ؟ قال : « تطعم الطعام وتقرأ السلام على مَن عرفت ومَن لم تعرف » [١].

٢ ـ تعلّمه إذا لقي أحداً أن يصافحه باشّ الوجه لما روى البراء فقال : قال رسول الله ﷺ : « ما من مسلمين يلتقيان ، فيتصافحان ، إلا غفر الله لهما قبل أن يتفرقا » [٢].

٣ ـ تعلّمه ألا يلقي في الطريق ما يؤذي النّاس كقشور بعض الفاكهة التي تسبّب الانزلاق للناس كقشر الموز ، أو تسبب جرحهم كقطع الزجاج المكسور . وفي ذلك أجرٌ عظيم لَمن فعله فقد قال رسول الله ﷺ: « الإيمان بضع وسبعون شعبة ، أوّلها قول لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق » [٣].

٤ ـ أن نعلّمه التوسعة في الطريق للمارّة أو الركبان ، وأن نعلّمه حقّ الطريق ، فعن النبيِّ ﷺ أنّه قال : « إيّاكم والجلوسَ في الطّرقات » قالوا : يا رسول الله مالنا بدٌّ من مجالسنا نتحدّث فيها . قال ﷺ : « فإذا أبيتم إلاّ المجلسَ فأعطوا الطّريق حقّه » قالوا : و ما حقّه ؟ قال : « غضّ البصر ، وكفّ الأذى ، وردّ السّلام ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر » [٤].

---

(١) أخرجه البخاري ، باب إطعام الطعام في الإسلام . و كذا مسلم .

(٢) أخرجه الترمذي ، باب ما جاء في المصافحة .

(٣) أخرجه صحيح مسلم ، باب شعب الإيمان .

(٤) أخرجه الترمذي ، باب من حق الجلوس على الطريق رد السلام .

أما آداب الجلوس فنلخِّصها بما يلي :

١ ـ أن نعلّمه الجلوس في مكانه .

٢ ـ أن لا يجلس مع قوم نيام ، أو ينام بين قوم أيقاظ .

٣ ـ ألا يتمطى ولا يتثاءَب خلال جلوسه ، وألا يمدّ رجليه ، وألا يضع رجلاً فوق أخرى بوجود الآخرين ، و لا يحني رقبته ، ولا يلعب بيديه ، ولا يفرقع أصابعهُ ولا رقبته ولا أي عضو من أعضائه .

٤ ـ ألا يبصق ولا يمخِّط بحضور النَّاس ، ولا يدخل يَده في أنفه ما أمكنه ذلك وإن اضطر فلا بد من استخدام فوطة أو منديل .

أما آداب حضور المجلس :

١ ـ أن يتعلّم حسنَ الإصغاء للمتحدّثين .

٢ ـ و إذا تحدّث فليكن حديثه قليلاً مفيداً إذ قال سيّدنا علي ﷺ: ((مَن كثُر كلامُه كثُر خطؤه ومَن كثر خطؤُه قلَّ حياؤه ، ومَن قلَّ حياؤه قلَّ ورعُه ، ومَن قلَّ ورعُه مات قلبُه ، ومَن مات قلبُه دخل النار)) .

٣ ـ ألا يقاطع محدِّثه ، وألا يمازح الأشراف فقد قال سعيد بن العاص لابنه : ((يا بُني لا تمازح الشريف فيحقد عليك ، ولا الدّنيء فيجترئ عليك)) وهذا رسول الله ﷺ يوصي بعدم المزاح فيقول: ((لا تمارِ أخاك ، ولا تمَازحُه)) [1].

و مَن مازح في مجلس من المجالس فليذكر الله تعالى عند قيامه ، فقد أخرج الترمذي عن النبي ﷺ أنّه قال : ((مَن جلس في مجلس وكثرَ لفظهُ فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك سبحانك اللهم وبحمدك ، أشهد أن لا إله إلا أنت ، أستغفرك وأتوب إليك ، إلاّ غفر له ما كان في مجلسه ذلك)) .

---

(١) سنن الترمذي ، باب ماجاء في المراء .

فـإذا ما التزم الولد بهذه القواعد فقد تجنّب إيذاء الناس ، وتجنّب مخالفة القواعد العامة والأذواق العامة السّائدة .

١٣ ـ أدب الإنصات والسماع إلى تلاوة القرآن الكريم :

لقد سبق الحديث عن وجوب تعليم الأطفال القرآن واللغة . و لمّا كان القرآن الكريم الكتاب المعجز ، المتعبّد بتلاوته ، الّذي فيه خير العباد في الدنيا والآخرة فقد حثّنا الله تعالى على تلاوته فقال : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلاَنِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ** ﴾ [١] .

وجاء كذلك الحضّ على لسان سيدنا رسول الله ﷺ كذلك إذ قال : « اقرءوا القرآن فإنّه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه » [٢]. و كذلك طالبنا ربُّنا سبحانه و تعالى بالإنصات الخاشع عن السماع لـــه كي تتنزّل علينا الرحمة حيث قال : ﴿ **وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ** ﴾ [٣].

فالاستمـــاع له والإنصات واجب إسلامي ، وهو الجدير بجليل الكلام ، وعظمة المتكّلم فعندئذ تتنزّل الرحمة . فحيثما قُرأ القرآن ، وحيثما تلاه المؤمنون تنزّلت الرّحمات و صفت النفوس ، و زكت القلوب لأن في القرآن الذكر والأحكام والعبادة والتشريع

١٤ ـ خلق الحياء :

سبق البيان عن الاحترام والحب وآداب المجلس و غيرها ، غير أنّ خلق الحياء يتوّج كل المعاني الأخلاقية السابقة ويزيدها رسوخاً في نفس الولد .

---

(١) سورة : فاطر ، الآية : ٢٩ .

(٢) صحيح مسلم ، باب فضل قراءة القرآن ، وسورة البقرة .

(٣) سورة : الأعراف ، الآية : ١٠٤ .

و ذلك لأن الحياء أقوى البواعث على الاتّصاف بما هو حسن ، واجتناب ما هو قبيح [١].

يقول مسكويه : ((فإذا نظرتَ إلى الصبيّ فوجدْتَّه مستحياً مطرقاً بطريقه إلى الأرض غير وقّاح الوجه ، ولا محدّق إليك ، فهو أوّلُ دليل على نجابته ، والشاهد لك على أن نفسه قد أحسّت بالجميل والقبيح)) [٢] و قد روى التّرمذي عن ابن عباس ﷺ أنّ رسول الله ﷺ قال : ((إنَّ لكلِّ دين خلقاً ، وخُلق الإسلام الحياء)) [٣].

وإذا تجرّد الإنسان من خلق الحياء جاهر بذنوبه ، ولا يبالي بأفعاله ، وذلك مصداقاً لقول النبيّ الكريم ﷺ :((إنّ مما أدرك النّاسُ من كلام النبوّة الأولى إذا لم تستحي فاصنع ما شئت)) [٤].

وجميل قول الشاعر : إذا لم تخشَى عاقبةَ الليالي ولم تستحِ فافعل ما تشاءُ

فلا والله ما في العيش خيرُ ولا الدنيا إذا ذهب الحياءُ

يعيش المرء ما استحيا بخير ويبقى العود ما بقي الماءُ

فكم هو جدير بالآباء أن يأخذوا أبناؤهم إلى مسالك الحياء ، ويرشدوهم إلى ما يجب تركه من الأقوال والأفعال . ومما يساعد على بلورة خلق الحياء وتجذيره في النفوس اختيار الأصدقاء من ذوي خلق الحياء النّامي ، و توفير القصص الرّاقية المدعّمة لخلق الحياء المساعدة على اكتسابه والتمسّك به .

غير أنّ المبالغة في أخذ المربّي للأطفال بهذا الخلق يمكن أن توقعهم في مخالب الخجل وضعف الشخصية ، وإبعاد نفس الطفل عن محاولته ارتقاء معالي الأمور خجلاً وخوفاً من العتب الشديد واللوم أو التّوبيخ ، لافتقاده الجرأة في الحق . و لذا أثنت السيدة عائشة على نساء الأنصار

---

(١) سهام مهيدي جبارة ، الطفل في الشريعة الإسلامية ، ص ٣٤٦ .

(٢) مسكويه ، تهذيب الأخلاق ، ص ٦٩ .

(٣) سنن ابن ماجه ، باب الحياء .

(٤) أخرجه التّرمذي .

عندما سألنَ عن أحكام الدّين المتعلّقة بالنّساء فقالت : « نِعْمَ النساء نساء الأنصار لم يمنعهن الحياء أن يتفقهنَ في الدين » [١].

وبهذه الطريقة يمكن أن يكتسب أطفالنا خلق الحياء دون ضعف أو وهن يمكن أن يتسرّب إلى ذواتهم إذا أمعنّا إمعاناً شديداً بأخذ أطفالنا بهذا الخلق .

١٥ ـ الصّدق : ضرورة التزامه ، والابتعاد عن الكذب :

الصدق : هو الكلام المطابق للواقع . والكذب : هو الكلام المخالف للواقع عن سابق قصد وتصميم . فالصّدق دعامة الأخلاق النظيفة والسلوك النبيل ، والركيزة الأساس التي تُبنى عليها جسور الثّقة بين الأفراد والمجتمعات ، لذا كان الواجب أن نتحرّى الصّدق ونربّي أطفالنا على هذا الخلق الكريم كي نوفرّ لهم المناخ المناسب لتركيز هذه الصفة الكريمة ((فالأطفال لا يولدون صادقين ، لكنّهم يتعلمون الصدق والأمانة شيئاً فشيئاً من البيئة إذا كان المحيطون بهم يراعون الصدق في أقوالهم ووعودهم . والطّفل الّذي يعيش في وسط لا يساعد على تكوين اتّجاه الصّدق والتدرّب عليه يسهل عليه الكذبُ خصوصاً إذا كان يتمتّع بالقدرة الكلامية ولباقة اللسان .. وعلى هذا الأساس فإنّ الكذبَ صفة أو سلوك مكتسب نتعلّمه كما نتعلم الصدق وليس صفة فطرية أو سلوكاً مورثاً)) [٢].

فالصّدق مصدرٌ لكلِّ فضيلة من الفضائل ، و بالمقابل فإنّ الكذبَ مصدرٌ لكلِّ رذيلة من الرذائل ، لذا فإنّ المربّين من السلف اهتموا بتجذير الصدق وتعميقه في نفوس الناشئة ، إدراكاً منهم لأهميّة الخلق ، فقد روى الإمام السمعاني عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص عن عبد الله ﷺ أنّه قال : إيّاكم و الرّوايا ، روايا الكذب ، فإن الكذب لا يصلح بالجد أو الهزل ، ولا يَعِد

---

(١) كتاب العربي ، مرآة العقل ، الطفل العربي والمستقبل ، ص ٥٣ ، ٥٤ . و أخرج القول البخاري و مسلم و غيرهما .

(٢) كتاب العربي ، مرآة العقل ، الطفل العربي والمستقبل ، ص ٥٣ ، ٥٤ .

أحدكم صبيتهُ ثمّ لا ينجز لـــه ما وعَده لأنّ ذلك قد يعوّده على الكذب ، والمربّي يجب أن يعّوده عـلى الصّدق .. والصّدق يقـود إلى نصـب جسـور الـثّقة القويّـة بين النّاس عموماً وبين الصّالحين الأتقياء خصوصاً : قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ (١).

والكـذب يهـوي بالإنسان إلى مهاوي المظالم في الشهادة ، لأنّ الكذب زور وبهتان ، و قد نهـى عـنه الله تعـالى فقال : ﴿ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴾ .(٢) لذا فإنّ الله تعالى حجب نعمة الهداية عن الكاذبين فقال : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴾ .(٣) ﴿ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ(٤)﴾ .

والصّدق الصـفة الكـريمة الـتي وصـف الله تعالى بها نفسه فقال : ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيـثًا ﴾ (٥) كمـا وصـف القـرآن الكـريم بها أنبياء الله تعالى أيضاً فقال : ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴾ (٦) .

كمـا وصـف رسـالة الإسـلام بأنّهـا رسـالة صـدق والّذيـن صـدّقوها كانوا الصادقين فقال : ﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ (٧) .

ولّـما كان الصّدقُ خلقاً كريماً فإنه يولّد في النفوس الطمأنينة والسـكينة ، بينما الكذب فإنّه يـورث القلق والاضطراب ، فعن الحسن بن علي ﷺ قال : حفظْتُ من رسول الله ﷺ : ((دع ما يريبك إلى مالا يريبك ، فإنّ الصّدق طمأنينة ، والكذب ريبة)) (١) .

---

(١) سورة : براءة ، الآية : ١١٩ .

(٢) سورة : الحج ، الآية : ٣٠ .

(٣) سورة : الزمر ، الآية : ٣ .

(٤) سورة : غافر ، الآية : ٢٨ .

(٥) سورة : النساء ، الآية : ٨٧ .

(٦) سورة : مريم ، الآية : ٤١ .

(٧) سورة : الزمر ، الآية : ٣٣ .

والصّدق يُرسِّخ في قلوب الأطفال باستمراء الممارسة العملية ، وإذا كانت القدوة المربّية تسهم في زرع هذا الخلق فعليها أن تضرب المثل . ((و إذا كانت التربية الفاضلة في نظر المربين تعتمد على القدوة الصالحة ... فجدير بكلِّ مربٍّ مسؤولٍ ألاَّ يكذب على أطفاله بحجّة إسكاتهم من بكاء أو ترغيبهم في أمر أو تسكيتهم من غضب)) ؛[٢] لأنّ هذا يؤثّر على الرِّسالة التي يؤدّيها المربي القدوة ((فإنّهم إن فعلوا ذلك يكونون قد عَودوهم عن طريق الإيماء والمحاكاة القدوةَ السيّئة على أقبح العادات)) [٣] و قد روى لنا عبد الله بن عامر ما حدث معه فقال : ((دعتني أمي يوماً ورسول الله ﷺ قاعد في بيتنا ، فقالت : ها تعال أعطيك . فقال لها رسول الله ﷺ : ((ما أردت أن تعطيه ؟)) قالت : أعطيه تمراً . فقال لها رسول الله ﷺ : ((أما إنّك لو لم تعطِه شيئاً كتبت عليك كذبة)) [٤].

والسبب في التّأكيد على الصّدق مع الأطفال دائماً أنّه ((حينما نوفّي لهم ما نعدهم به نكون قد ساعدنا على بذر بعض الغرسات الطيّبة من الأخلاق)) [٥].

ضرورة اختيار الصّحبة من الصادقين

تنبع ضرورة اختيار الصحبة الصّادقة من أنّ المرء يتأثر بخليله ، والإناء ينضح بما فيه وطبائع النّفوس تتأثر بهذا السلوك أو بذاك ، وخاصّة الأطفال منهم لذا فإن عليّ ﷺ حثّ أولادنا على اختيار صحبة الصادقين قائلاً لابنه الحسن ﷺ : ((إيّاك ومصادقة الكذّاب ، فإنّه

---

(١) أخرجه الترمذي . و انظر عبد الله علوان ، تربية الأولاد في الإسلام ، ج١ / ص ١٧٤ .

(٢) عبد الله علوان ، تربية الأولاد في الإسلام ، ج١ / ص ١٧٤ .

(٣) عبد الله علوان ، تربية الأولاد في الإسلام ، ج١ / ص ١٧٤ .

(٤) أخرجه أبو داود ، باب التشدد في الكذب .

(٥) سهام مهدي جبارة ، الطفل في الشريعة الإسلامية ، ص: ٣٥٣ .

كالسراب يقرّب عليك البعيد ويبعد عليك القريب ، وكفى الكذبَ تعساً وشؤماً أنّه صفة من صفات المنافقين . فعن عبد الله بن عمر بن العاص ﷺ أنّ النبي ﷺ قال : « أربع مَن كُنَّ فيه كان منافقاً خالصاً ، و مَن كانت خلّة منهن كانت فيه خلّة من نفاق حتى يدعها : إذا حَدَثَ كذب وإذا عاهد غدر ، وإذا وعد أخلف ، وإذا خاصم فجر » [١] .

١٦ ـ الأمانة و الاحتراز من الخيانة :

أ) أهميّة الأمانة :

الأمانة و الخيانة نقيضان ، فالخلق الأول يبث في المجتمع الاطمئنان و الود و الحب من الناحية النفسية ، و يسهم في حفظ مقدّرات الأمة و الجماعة الإنسانية لأن خلق الأمانة ركيزة من ركائز الحق الكبرى التي ترتكز عليها الدول و الجماعات .

و لما جاء الإسلام ليؤسس على قواعده المتينة الحضارة التي يريد كان من جملة ما أرساه بين أبنائه و في مجتمعه خلق الأمانة حيث قال تعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا** [٢] ﴾ .

فترسيخ هذا الخلق أحد العناصر التي تكوّن الشخصية تكويناً صحيًّاً تجعل يجعل منها كائناً يُعتمد عليه في الملمّات ، و تُناط به المسؤوليات ، فعن أنس ﷺ قال : ما خطبنا رسول الله ﷺ خطبة إلا قال : « لا إيمان لمن لا أمانة له ، و لا دين لمن لا عهد له » [٣] .

ب) أنواع الأمانات :

و للأمانة أنواع حتى أنّه بإمكاننا القول بأنّ لدينا أمانات متعددة . فالأمانة على صدق الحديث أمانة ، و الأمانة على أموال الآخرين أمانة ، و في عنق المسلم أمانة خاصّة هي أمانة

---

(١) أخرجه مسلم ، باب فضائل المنافق .

(٢) سورة : النساء ، الآية : ٥٨ .

(٣) أخرجه أحمد في المسند .

الفطرة و الشريعة و الأخلاق الفاضلة و الأحكام المتعلقة بالحلال و الحرام حيث قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ[١] ﴾ فإذا أردنا على سبيل المثال ذكر بعض أنواع الأمانة قلنا : إنّ هناك :

١ ـ **أمانة إحسان معاملة أفراد الأمة** : كأن تكون أميناً على الودائع المستودعة لديك من الأموال ، أو حفظ أسرار المجتمع فلا تهتك ستره ، و لا تفشي سرّه . كما أنّ هذا المجال يدخل فيه حقوق المعارف و الأصدقاء حيث يقول المصطفى ﷺ : « إذا حدّث الرجل بحديث ثم التفت فهي أمانة »[٢].

٢ ـ **أمانة المنصب** : فإسناد المناصب العامّة يجب أن يكون إلى الأمناء الأقوياء و الأكفاء المخلصين . و جميع الحقوق المشروعة للحكومة أمانة في عنق الحاكم ، و هو مسؤول عن حمايتها و تمكينهم منها حيث قال رسول الله ﷺ : « الإمام راعٍ و مسؤول عن رعيّته »[٣] .

و قد حدّد رسول الله ﷺ مسؤولية الولد في مال أبيه و طلب منه أن يحافظ عليه و لا يمدّ يده إليه ، فإن الله مطّلع على خفايا الأمور فقد ورد أنّ رسول الله ﷺ قال : « كلّكم راعٍ و مسؤول عن رعيّته ... و الرجل في مال أبيه راعٍ و مسؤول عن رعيّته »[٤]. و هذا رسول الله ﷺ يشدّد النكير على مَن خان الأمانة فيخبر أنه يبوء بغضب شديد من الله فيقول : « مَن خان أمانة في الدّنيا و لم يردَّها إلى أهلها ثم أدركه الموت مات على غير ملّتي ، و يلقى الله و هو غضبان »[٥] .

---

(١) سورة : الأنفال ، الآية : ٢٧ .

(٢) أخرجه أبو داود .

(٣) أخرجه البخاري : باب العبد راع في مال سيّده .

(٤) أخرجه البخاري : باب العبد راع في مال سيّده .

(٥) الطبرسي ، مكارم الأخلاق ، ص ٤٣٠ ـ بيروت مؤسسة الأعلمي / ١٩٧٢ م .

و هـاهو النّبيّ ﷺ عـندما يظهـر لـــه أنَّ طفلاً شذَّ عن خلق الأمانة ، وندّت به غريزته و انحـرف طـبعه شـدّ أذنـه فقـد قـال النووي ﷺ في الأذكار على لسان أحد الأطفال من الصحابة ((بعثـتني أمّـي إلى رسـول الله ﷺ بقطف من عنب فأكلت منه قبل أن أبلغه إياه ، فلمّا أتيت به أخذ بأذني و قال : « يا غُدَر »))[١] .

مـن ذلـك يظهر حرص الإسلام على هذا الخلق لأن فقدانه يهدم أواصر المجتمع و يذهب بقيَمه هباءً ، و يصبح أفراده كائنات غادرة لا تقوم بمسؤولية ، و لا ترعى عهداً و لا ذِمّة .

فمـن الواجـب ترسـيخ هـذا الخلق الأصيل منذ الطفولة كي ينمو في داخل الفرد و يترعرع ليصبح أميناً بنّاءً في حياته ، يحمل الخير لنفسه و أهله و الناس أجمعين .

١٧ ـ خُلُق حفظ السرّ :

لقـد عُـني رسـولُ الله ﷺ بحفـظ السـرّ لدى الأطفال لأنّ هذا الخلق يسـهم في تكوين إرادة الطّفـل الواعيـة الفاعلة ، لأنّ الطّفل يريد أن يتكلّم بما يملك من معارف أو معلومات فعندما تدرّبه على حفظ السرّ فإنه يتدرّب على بذل جهدٍ نفسي مخالف لطبائع الطفولة الفطرية .

فـإذا نمـا خـلق حفـظ السرِّ فيه فإنّ عدداً من الصّفات و السّجايا تنمو مع هذا الخلق مثل قـوة الإرادة ، و انضباط اللسان ، و رباطة الجأش . مما يتسـبّب في غرس الثقة الاجتماعية و نمو بذرة القوّة في نفس الناشئة .

و ورد عن عبد الله بن جعفر ﷺ قال : « أردفني رسول الله ﷺ ذات يومٍ خَلْفه ، فأسرّ إلـي ؛ لا أحـدّث بـه أحـداً مـن الـناس ، و كان أحب ما استتر به رسول الله ﷺ لحاجته هدف أو حائش نخل))[٢].

كمـا ورد أنّـه ذات يـوم أرسـل رسـول الله ﷺ أنسـاً إلى بعـض حاجاتـه فـتأخّر على أمّه فقالت : ما أبطأك ؟ قلت : بعثني رسول الله ﷺ في حاجة . قالت : ما هي ؟ قلت : إنها سرّ .

---

(١) أخرجه ابن السنّي . و انظر النووي : الأذكار ، ص ٢٥٦ .

(٢) أخرجه مسلم .

فقالت المؤمنة الواعية معطيةً درساً للأمّهات من بعدها في تعليم الأطفال حفظ السرّ .: ((لا تخبرنَّ سرَّ رسول الله ﷺ أبداً)) .

١٨ ـ العفو و التواضع :

إنّ الأخلاق الإسلامية شملت كلَّ مناحي الحياة . و ما من خلق إلا يسهم في بناء المجتمع في جانب من جوانب الحياة ، فإذا ما تمسّك الأفراد و المجتمع بأخلاق الإسلام أصبح قويّاً تسوده الأخوة .

و خلق العفو و التواضع و التسامح واحد من هذه الركائز التي إذا ما اعتمد عليها انتصر المرء بها على أهوائه و نزواته ، و نمت فيه نوازع الرحمة و الخير و الصفح و المغفرة .

و هذه صفة من صفات رسل الله و أنبيائه عليهم السلام . فقد وصف الله تعالى رسوله ﷺ بقوله : ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِين** ﴾[1]. فالرّسول رحمة للناس أجمعين مؤمنهم و كافرهم ، أبيضهم و أسودهم ، غنيّهم و فقيرهم .

و يمتدح الله رسولَه صاحب الخلق اللطيف الليّن ، الذي ألّف به قلوباً متنافرة ، و طباعاً متصارعة فقال : ﴿ **فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ** ﴾ .[2] و الآيات الدّاعية إلى التواضع كثيرة منها قوله تعالى : ﴿ **وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ** ﴾ ؛[3] فالمتواضعون أهل الله ، و المتكبرون لا حظَّ لهم من عطاء الله لأنّهم ينافسون الله في صفاته .

---

(١) سورة :الأنبياء ، الآية : ١٠٧ .

(٢) سورة : آل عمران ، الآية : ١٥٩ .

(٣) سورة : الحجر ، الآية : ٨٨

فالتّواضع يجذّر خلق الحبِّ و الودِّ و التراحم . فعن عياض ﷺ أن رسول الله ﷺ قال « إنّ الله أوحى أن تواضعوا ، حتى لا يفخر أحدٌ على أحد ، و لا يبغي أحدٌ على أحد » [١].

لذا نجد التّربية الإسلامية تحضُّ على تربية الأبناء على العفو فقد قال رسول الله ﷺ « عليكم بالعفو ، فإنّ العفو لا يزيد العبد إلا عزّاً ، فتعافوا يعزّكم الله » [٢].

و أما تنظيف الصدر من الأحقاد فضروري لأنّ وجود الحقد يعني دوام العداوة بين الناس و هذا يخالف هدي الإسلام فقد روى لنا سيدنا أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ قال له : « يا بني إنْ قدرت أن تصبح و تمسي و ليس في قلبك غشٌ لأحد فافعل » ثمّ قال لي : « يا بني و ذلك من سنّتي و مَن أحيا سنتي فقد أحياني ، و مَن أحياني كان معي في الجنّة » [٣].

كما طلب الرّسول ﷺ من الناشئة أن يغسلوا أدران القلوب و النّفوس لأنّ الحقد أساسه الغضب ، و الغضب ((إذا لزم كظمُه لعجز عن التشفّي في الحال رجع إلى الباطن و احتقن فيه فصار حقداً و معنى الحقد أن يلزم قلبه استثقاله و النفار عنه و أن يدوم على ذلك و يبقى)) [٤] فالأحقاد تعني البغضاء ، و قد حذّر منها الرسول الكريم ﷺ لأنها تهدم الدّين فها هو يقول : « إيّاكم و البغضاء فإنّها الحالقة ، لا أقول حالقة الشعر ، و لكن تحلق الدين » [٥].

و بعد هذا الحديث عن التربية الأخلاقية لا بد من التّعريج على النموذج القرآني في التربية الأخلاقية كما ورد في سورة لقمان حيث يوصي لقمان ابنه توصية الأب الحكيم لابنه المحبوب فيوصيه أولاً بإخلاص الوحدانية لله تعالى : ﴿ **يَا بُنَيَّ لاَ تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ**

---

(١) أخرجه مسلم .

(٢) أخرجه الربيع في مسنده ج١ / ٣٤٧ . و انظر الكليني : الأصول من الكافي ، ج٢ باب العفو .

(٣) أخرجه الترمذي : باب الأخذ بالسنة و اجتناب البدعة .

(٤) الغزالي ، إحياء علوم الدين، ج٣ / ص ٢٢٦ .

(٥) أخرجه الترمذي ، رقم ٢٤٣٣ .

ظِيمٌ﴾ [١] ثمّ ينتقل إلى توجيهات متعددة منها ما يتعلّق بالعلاقة مع الوالدين إذ أمر ببرهما و طاعتهما في كلّ ما يأمران به عدا الشرك فعندئذٍ لا سمع و لا طاعة ، و ينسحب ذلك على كل الأوامر بارتكاب المعصية فعندئذٍ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق .

ثمّ يبدأ التوجيه الأخلاقي السلوكي فيقول : ﴿ يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الأرض يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ۞ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاَةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُور ﴾ [٢]

فالتّوجيه القرآني يكشف لنا أن لقمان الحكيم بعد أن أوصى ابنه بتوصيات تتعلق بتخليص الإيمان بالله من كل شائبة ، أكّد على تركيز الإيمان باليوم الآخر يوم الحساب و الجزاء ثمّ يعظ لقمان ابنه طالباً منه إقامة الصلاة و الأمر بالمعروف و إعلاء شأنه ، و إنكار المنكر و بيان فساده و بطلانه .

ثمّ أتى التّوجيه الأخلاقي المحدِّد لكيفية العلاقة بينه و بين المجتمع حيث قال تعالى على لسان لقمان الحكيم : ﴿ وَلاَ تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ۞ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴾ .[٣]

و ما الحكمة إلا ذكر الشيء في موضعه و مكانه و زمانه . ((بهذا المفهوم الذي يتطابق فيه عالم الواقع و عالم الضمير استجمع لقمان بالحكمة خصائص الفلاح ، هذه الحكمة التي تُردّ

---

(١) سورة : لقمان ، الآية ١٣ .

(٢) سورة : لقمان ، الآية : ١٦ ـ ١٧ .

(٣) سورة : لقمان ، الآية : ١٨ ـ ١٩ .

إليها كلّ الفضائل النظرية و العملية ، و ذلك لقوله تعالى : ﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ﴾ إلى قوله : ﴿ ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةَ ﴾ (١).

حقّاً كان لقمان ينطق بالحكمة عندما دعا ابنه إلى العمل بهذه الخصال المحمودة و ترك تلك الخصال المذمومة . و هنا ندرك إلى أي مدى سمت أخلاق لقمان حين آتاه الله الحكمة و ندرك أيضاً مقدار النجاح المأمول إذ يربّي ولدَه بمثل هذه الشخصية العامرة بفضائل الإيمان .

إنه خُلِقّ على خلق كريم ، و من ثمّ فهو يستطيع أن يأخذ ولده به ليصبح مثله عالماً عاملاً ، عالماً بالحقّ عاملاً بالخير .

و الآيات الكريمة تفسِّر الحكمة بالشكر ، و الشكر هو قمّة السداد لأنّ مفهومه الاعتراف بالمنعم سبحانه ، و الإحساس بالحاجة الدّائمة إلى عطائه ، و انتصار النّفس على إغراء النعمة و إغراء الشيطان الذي يحاول الانحراف بها عمّا خُلِقت من أجله)) (٢).

و المدقّق يرى أن وصايا لقمان تقف في مواجهة صداميّة مع تزيينات الشيطان . فالشيطان إمام المتكبرين المتعالين فجاءت الوصيّة الحكيمة ﴿ وَلاَ تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ .

كما أنّ الشيطان ينفخ في نفس الإنسان نار الغضب كي يحرق نعمة الاطمئنان و الوقار و الهدوء فجاءت التوصية ﴿ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴾ كي يرتقي بابنه في عالم الإنسانية الواعية السامية لأن رفع الصوت رعونة و ذاك طبع لا يليق بالإنسان السامي المحاط برعاية الله و تربية الصالحين الحكماء .

---

(١) سورة : الإسراء ، الآية : ٣٩ .

(٢) محمود محمد عمارة ، أولادنا ص ٢٦٩ .